

البسمة

الدرس
13

أهداف الدرس

- ◀ أن أتعرفَ مذاهب القراءة في البسمة بين السورتين .
- ◀ أن أستخرج الأوجه الجائزة بين السورتين لمن ييسملون .
- ◀ أن ألتزم ذكر الله والتبرك بأسمائه وصفاته .

تمهيد

بعد مبحث الاستعاذة ننتقل إلى البسمة لتناسُبهما بالتقدم على القراءة ، واصطحابهما غالبا ، لاسيما عند ابتداء القراءة بأول السورة .

فما هي مذاهب القراءة في البسمة إثباتا وتركاً؟

المتن

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

- 100- وَبَسْمَلْ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ بِسْمَةَ *** رِجَالٌ نَمَوْهَا دِرْيَةً وَتَحَمُّلاً
- 101- وَوَضَلُّكَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فَصَاحَةً *** وَصَلَّ وَاسْكُتَنَّ كُلُّ جَلَايَاهُ حَصَلاً
- 102- وَلَا نَصَّ كَلَّا حُبَّ وَجْهٍ ذَكَرْتُهُ *** وَفِيهَا خِلَافٌ جَدِيدُهُ وَاضِحُ الطُّلَى
- 103- وَسَكَّتُهُمُ الْمُخْتَارُ دُونَ تَنْفُسٍ *** وَبَعْضُهُمْ فِي الْأَرْبَعِ الزُّهْرِ بِسْمَلًا
- 104- لَهُمْ دُونَ نَصٍّ وَهُوَ فِيهِنَّ سَاكِتٌ *** لِحِمْزَةٍ فَافْهَمُهُ وَلَيْسَ مُخَذَّلاً
- 105- وَمَهْمَا تَصَلَّيَا أَوْ بَدَأَتْ بَرَاءَةً *** لَتَنْزِيلِهَا بِالسَّيْفِ لَسْتُ مُبَسْمَلًا
- 106- وَلَا بُدَّ مِنْهَا فِي ابْتِدَائِكَ سُورَةٍ *** سِوَاهَا وَفِي الْأَجْزَاءِ خَيْرٌ مَنْ تَلَا
- 107- وَمَهْمَا تَصَلَّيَا مَعَ أَوَاخِرِ سُورَةٍ *** فَلَا تَقِفَنَّ الدَّهْرَ فِيهَا فَتَثْقُلَا

الفهم

استخلاص المضامين:

- ▶ أستخرج من الآيات مذاهب القراء في الفصل بين السورتين .
- ▶ أحدد حكم البسمة عند الابتداء بأول السورة ، وأول الأجزاء .

الشرح:

- نمؤها:** رفعوها ونقلوها .
- وتحملاً:** التحمل: النقل عن الغير .
- الطلي:** جمع طلية ، وهي صفحة العنق .

التحليل

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: مذاهب القراء في البسمة بين السورتين

أشار الناظم في البيت الأول إلى من فصل بين السورتين بالبسمة بقوله:

وَبَسْمَلْ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ بِسْنَةٍ *** رِجَالٌ نَمَوْهَا دِرْيَةً وَتَحْمَلًا

البسمة مصدر مُوَلَّدٌ . وفعله بسمل يبسمل إذا قال: «بسم الله» أو إذا كتبها ، وقد صارت حقيقة عرفية في «بسم الله الرحمن الرحيم» .

وقد أخبر الناظم في هذا البيت أن رجالاً بسملوا بين السورتين وهم: قالون ، والكسائي ، وعاصم ، وابن كثير ، المشار إليهم بالباء والراء والنون والذال ، الواردة في أوائل كلمات «بِسْنَةٍ» . . . رِجَالٌ نَمَوْهَا دِرْيَةً» .

وأراد بالسنة: كتابة الصحابة للبسمة في المصحف ، وأن رسول الله ﷺ كان لا يعلم انقضاء السورة حتى تنزل عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم» .

وقوله: «نَمَوْهَا دِرْيَةً وَتَحْمَلًا» ، معناه: رفعوا هذه الرواية إلى النبي ﷺ ، متحملين لها ، جامعين بين الرواية والدراية .

وقد علّم من ذلك أن الباقيين لا يبسملون بين السورتين ، وقد بين مذهب من لم يبسمل فقال:

«وَوَضَّلَكَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فَصَاحَةً»

أخبر أن حمزة كان يصل آخر السورة بأول السورة التي بعدها ولا يبسمل بينهما، وهو ما أشار إليه بالفاء من قوله: «فَصَاحَةٌ» ويفهم من العبارة أن وصل السورة بالسورة من باب الفصاحة، لما فيه من:

- بيان إعراب آخر السورة، وغيره من أحكام الوصل، نحو: ﴿إِنَّا كَمِيرٌ ٨﴾ ﴿بَافْرَأُ﴾
[التين: 8 - العلق: 1]، ﴿الْأَبْتَرُ﴾ ﴿فُلٌ﴾ [الكوثر: 3 - الكافرون: 1]، ﴿وَلَيْلِي﴾ ﴿إِنَّا جَاءَ﴾
[الكافرون: 6 - النصر: 1].

- معرفة ما يكسر منها كآخر المائدة مع أول الأنعام، وما يضم كآخر النجم مع أول اقتربت.
- بيان همزة الوصل كآخر العاديات مع أول القارعة، وهمزة القطع كآخر القارعة مع أول الهيك.

وسكت خلف على مثل: ﴿فَعَجَّتْ﴾ آخر ﴿وَالضُّجُجِ﴾.
ويندرج في السورتين المترتبتان وغيرهما ولو عكساً.

ثم بين الناظم رحمه الله مذهب من بقي من القراء فقال:

«وَصِلْ وَاسْكُتْ كُلَّ جَلَايَاهُ حَصْلًا» فأمر بالتخيير بين الوصل والسكت لمن أشار لهم بالكاف، والجيم، والحاء، في قوله: «كُلَّ جَلَايَاهُ حَصْلًا» وهم: ابن عامر وورش وأبو عمرو، فيكون لكل واحد منهم بين السورتين وجهان: الوصل كحمزة، والسكت بدون بسمة، وهو معنى قوله: «وَصِلْ وَاسْكُتْ» أي: صل آخر السورة بأول السورة إن شئت، واسكت بينهما إن شئت. فالواو بمعنى: «أو» وسيأتي بيان حقيقة السكت عند قول الناظم: «وَهُوَ فِيهِنَّ سَاكِتٌ».

وأشار بقوله: «كُلَّ جَلَايَاهُ حَصْلًا» إلى أن كل هؤلاء القراء حصّل جلايا ما ذهب إليه وصوّبه من التخيير. ثم قال:

وَلَا نَصَّ كَلَّا حُبَّ وَجْهَ ذَكَرْتُهُ *** وَفِيهَا خِلَافٌ جَيِّدُهُ وَاضِحُ الطُّلَى

اختلف الشراح هل في هذا البيت رمز أم لا؟ فأكثرهم على أن الكاف من «كَلَّا» رمز لابن عامر، والحاء من «حُبَّ» رمز لأبي عمرو.

ومعنى: «لَا نَصَّ» أي: لم يرد نصّ ثابت عنهما بوصل ولا سكت، وإنما التخيير لهما استحباب من الشيوخ، فبعضهم اختار الوصل، وبعضهم اختار السكت.

وقيل: «لا نصّ»، أي: لا رواية منصوصة عن ابن عامر وأبي عمرو بالفصل بالبسملة ولا تركه، بل البسملة لهما اختيار من أهل الأداء، فالنفي -إذاً- موجّه إلى التخيير لهما بين البسملة وتركها، وليس إلى التخيير بين الوصل والسكت، ولو أراد الناظم ذلك لذكر ورشاً معهما في ذلك، وليس كذلك؛ لأن ورشاً لم يرد عنه نص في التخيير، وعلى هذا التفسير لا بسملة لابن عامر وأبي عمرو في رواية الشاطبي، وهو مطابق لما في «التيسير» لأبي عمرو الداني، لكن الشاطبي على التفسير الأول وجّه النفي إلى التخيير للثنتين، وبذلك يكون ترك البسملة ثابتاً لهما. ولا نص لهما في السكت ولا في الوصل، فأخذ أهل الأداء لهما بالتخيير.

وقوله: «وَفِيهَا خِلَافٌ جَيِّدُهُ وَاضِحُ الطَّلَى». أي: وفي البسملة خلاف مشهور عن المشار إليه بالجم من قوله: «جيدة» وهو ورش، والخلاف المشار إليه منه هو أن أبا غانم المظفر كان يأخذ لورش بالبسملة بين السورتين. وأن المصريين الآخذين برواية ورش من طريق الأزرق أخذوا له بتركها بينهما.

وقيل: لا رمز في هذا البيت لأحد من القراء. ويكون قوله: «وَفِيهَا خِلَافٌ» عائداً إلى الثلاثة المشار إليهم في قوله: «كُلُّ جَلَايَاهُ حَصَلًا» أي: وفي البسملة خلاف عن ابن عامر وأبي عمرو وورش، وعلى هذا التفسير تكون البسملة للثلاثة من زيادات القصيد.

ثم أشار الناظم إلى أن السكت هو المختار للثلاثة، فقال: «وَسَكَّتُهُمُ الْمُخْتَارُ دُونَ تَنَفُّسٍ». أي: أن السكت بين السورتين هو المختار، وهو عبارة عن سكتة لطيفة من غير تنفس، أي: من غير قطع الصوت، وقدره بعضهم بمقدار سكت حمزة على الهمز.

فحصل من مجموع ما ذكره الناظم أن لكلٍ من هؤلاء الثلاثة ثلاثة أوجه على الترتيب:

1. السكت بين السورتين، وهو المقدم في الأداء.

2. الوصل بينهما.

3. الفصل بينهما بالبسملة.

ثانياً: حكم السور الأربع الزهر

أشار الناظم رحمه الله إلى حكم البسملة في الأربع الزهر بقوله:

*** وَبَعْضُهُمْ فِي الْأَرْبَعِ الزُّهْرِ بِسْمَلًا

لَهُمْ دُونَ نَصٍّ وَهُوَ فِيهِنَّ سَاكِتٌ *** لِحَمْزَةٍ فَافْهَمُهُ، وَلَيْسَ مُخَذَّلًا

أي: أن بعض أهل الأداء اختار لورش وأبي عمرو وابن عامر الفصل بالبسملة بين سورتي المدثر والقيامة، وبين الانفطار والتطفيف، وبين الفجر والبلد، وبين العصر والهمزة، لكن البسملة «لهم دون نص» ولا نقل، وإنما هو استحباب من الشيوخ.

وقوله: «وَهُوَ فِيهِنَّ سَاكِتٌ لِحَمْزَةٍ» ضمير «هو» عائد على «البعض» الوارد في البيت المتقدم، أي: أن ذلك البعض الذي بسمّل لابن عامر وورش وأبي عمرو في هذه السور الأربع يسكت لحمزة بينهم، ويُفهم منه أن البعض الآخر لا يسكت لحمزة فيهن، بل يقرأ له بالوصل والسكت، ليشمل الطريقتين، وقوله: «فافهمه» أي: المذهب المذكور لحمزة وهو السكت له في هذه السور، وهو مذهب «ليس مُخَذَّلًا» أي: ليس ضعيفاً متروك العون والنصرة، بل هو مذهب منصور.

ثالثاً: ترك البسملة في «براءة» وصلاً وابتداءً

وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

وَمَهْمَا تَصْلِيهَا أَوْ بَدَأَتْ بِرَاءَةً *** لَتَنْزِيلِهَا بِالسَّيْفِ لَسْتَ مُبَسِّمًا

الضمير في «تصلها» مفعول به يعود على «براءة» وأضمر قبل الذكر على شريطة التفسير بفعل الشرط، و«براءة» بالنصب من باب التنازع، وهو من إعمال الثاني، والمعنى: أن سورة براءة لا بسملة في أولها، سواء وصلها القارئ بالأنفال، أو ابتدأ بها؛ لأنها لم ترسم في المصحف الشريف، بل ترك لها سطر مكانها، ولجميع القراء السكت أو الوصل عند وصلها بالأنفال.

ثم ذكر الناظم الحكمة في ترك البسملة في أول براءة وعدم رسمها في المصحف فقال: «لتنزيلها بالسيف لست مُبَسِّمًا» خبر معناه النهي، أي: لا تبسمّل لأحد من القراء؛ لأن البسملة أمان و«براءة» نزلت بالسيف ليس فيها أمان، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت علي بن أبي طالب عليه السلام: لمَ لم يكتب في «براءة» بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأن «بسم الله» أمان، و«براءة» نزلت بالسيف ليس فيها أمان [المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب التفسير].

رابعاً: حكم البسملة أول السورة وأول الأجزاء

وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

وَلَا بُدَّ مِنْهَا فِي ابْتِدَائِكَ سُورَةً *** سِوَاهَا وَفِي الْأَجْزَاءِ خَيْرَ مَنْ تَلَا

أخبر أن القارئ إذا ابتداءً بالسورة فلا بد له من الإتيان بالبسملة لسائر القراء، سواء منهم من يبسمل بين السورتين، ومن لم يبسمل منهم، ولا خلاف في إثبات البسملة في أول الفاتحة ولو وصلت بسورة «الناس»، ثم استثنى «براءة» فقال: «سواها»

ثم أشار إلى حكم الابتداء بأول الأجزاء والأحزاب فقال: «وفي الأجزاء خَيْرَ مَنْ تَلَا» و«خَيْرَ» بالبناء للفاعل، وهي الرواية، أي: «خَيْرَ» أهل الأداء القارئ في البسملة إذا ابتداءً بالأجزاء، إن شاء أتى بها، وإن شاء تركها. وليس المراد بالأجزاء المصطلح عليها، بل كل آية ابتدئ بها من غير أول السورة، سواء كان ذلك أول جزء، أو حزب، أو رأس نصف، أو ربع، أو ثمن، أو عُشر.

خامساً: أوجه البسملة بين السورتين لمن يبسمل

أوجه البسملة بين كل سورتين لمن يفصل بالبسملة هي أربعة:

1. الوقف على آخر السورة، والوقف على البسملة.
2. الوقف على آخر السورة، ووصل البسملة بأول السورة التالية.
3. وصل آخر السورة بالبسملة مع وصل البسملة بأول السورة التالية.
4. عكسه، وهو وصل آخر السورة بالبسملة مع الوقف على البسملة، وهذا الوجه الأخير هو الذي نهى عنه الناظم بقوله:

وَمَهْمَا تَصَلَّيْهَا مَعَ أَوَاخِرِ سُورَةٍ *** فَلَا تَقِفَنَّ الدَّهْرَ فِيهَا فَتَثْقُلَا

فحصل من ذلك أن الأوجه الثلاثة الأولى هي الجائزة، وهي على سبيل التخيير، وأما الوجه الرابع فممنوع. ثم بيّن الناظم علة منعه وعدم جوازه، وهو استئصال الوقف عليها؛ لأنه يقتضي أن البسملة لأواخر السور، مع أنها جعلت لأوائل السور.

التقويم

1. أبين مذاهب القراء في البسمة بين السورتين ، وأستدل عليها بالنظم .
2. كيف نفهم قول الناظم: «فَافْهَمُهُ وَلَيْسَ مُخْذَلًا»؟
3. ما حكمُ البسمة في بداية السور ، وفي أول الأجزاء؟

الاستثمار

وَالْأَخْذُ عِنْدَنَا بِتَرْكِ الْبَسْمَةِ *** فِي أَوَّلِ الْأَجْزَاءِ حَكْمٌ النَّقْلَةُ
إِنْ كَانَ لَفْظُ اللَّهِ جَا فِي الْأَوَّلِ *** فَقِفْ عَلَى اسْتِعَاذَةٍ وَبَسْمِلِ
وَالأَوَّلُ الْمَشْهُورُ عِنْدَنَا بِفَاسٍ *** وَسَائِرِ الْغَرْبِ فَقُلْ بِلَا التَّبَاسِ

[تمهيد الطريق إلى معرفة الأنصاف القرآنية بالتعليم العتيق ، القسم الثالث: الأداء والتجويد، ص 94]

أتأمل الأبيات وأجيب عن الآتي:

1. ما هو عمل المغاربة في البسمة في أوائل الأجزاء؟
2. كيف يتم افتتاح الأجزاء المبتدأة باسم الجلالة؟

الإعداد القبلي

أحفظ الأبيات الخاصة بسورة «أم القرآن» وأقوم بالآتي:

1. أستخرج الألفاظ المختلف فيها ومذاهب القراء في قراءتها.
2. أحدد كيفية النطق بإشمام لفظ ﴿صِرَاطُ﴾ و﴿الْصِرَاطِ﴾.